مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 08 عدد: 02 السنة 2022 E-ISSN:2588-2325

الطب من خلال الأسقف أوغسطين

Medicine Through Bishop Augustine

أمحمد وابل*، جامعة ابن خلدون .تيارت، mhammed.ouabel@univ-tiaret.dz

تاريخ الإرسال: 2022/07/14 تاريخ القبول: 2022/11/02 تاريخ النشر: 2022/12/30

ملخص:

نحاول من خلال هذا المقال الكشف عن جهود الأسقف أوغسطين حول بعض الممارسات الطبّية خلال القرن الخامس الميلادي في مدينة هيبوريجيوس من خلال كتاباته ورسائله، وهذا انطلاقاً للوصفات الطبّية التي قدمها الأسقف " أُوغسطين" للمجتمع ولكشوفه عن الأمراض ومحاولة تشخيصها وتصنيفها، وأيضا حواراته للأطباء الذين عاصرهم، وأهم المعارف الطبية التي إكتسبها في روما أثناء دراسته وتطبيقها في مدينته، كذلك تحتوي هذه الدراسة إلى الكشف عن أسماء بعض الأطباء الذين عاشوا قبل فترة " أُوغسطين" بدءاً من القرن الأول وحاولة جرد أسمائهم، كما بينت في هذه الدراسة أيضا أسماء أطباء عاصروا فترة الأسقف أوغسطين ومدى الجدالات الطبية التي كانت بينهم، كذلك لم يتوقف الطب مع وفاة أوغسطين بل واصل أفراد المجتمع مهنة الطب وبرعوا أكثر في تخصصات أخرى . وتهدف هذه الدراسة أيضاً لإظهار مكانة الطب في الجزائر قديما، ومدى الاستجابة إلى طرق الوقاية من الأمراض والأوبئة، كما نحاول أيضا أن نوضح دور أوغسطين في توعية المجتمع.صحياً.

الكلمات المفتاحية: أُوغسطين، هيبوريجيوس، الطب قديما، الأطباء، الأمراض.

* المؤلف المرسل.

Abstract:

In this article is considered as a historical study about the medicine in the city of Hippo-Regius in the time of The Bishop Augustine; through his various writings to reveal some medical practices in this city (Hippo-Regius) during the fifth century AD, and this according to the medical prescriptions provided by Augustine to the community, and to disclose diseases and try to diagnose and classify them. As well as his dialogues with the doctors he experienced, and the most important medical knowledge he acquired in Rome during his study and application in his city of Hippo-Regius This study aims to show the place of medicine in the city of Hippo-Regius during the Roman period, especially the 5th century AD, and the extent of the response to methods of prevention of diseases and epidemics, and we try to clarify the role of Augustine in educating individuals and providing medical assistance.

Keywords: Bishop Augustine, Old Medicine, Hippo regius, Diseases, the doctors,

مقدمة:

يُعتبر الطب من أهم العلوم التي ميّزت الحضارات القديمة، وبيّنت المصادر الأثرية والأدبية القديمة وجود العديد من الأطباء والممارسات الطبية وبعض العلاجات التي إشتهرت بها المجتمعات، وعند الحديث عن الممارسة الطبية خلال الفترة الرومانية فقد بينت المصادر خاصة النقوش اللاتينية وجود العديد من الأطباء الذين اشتهرو في مدن مقاطعة موريطانيا القيصرية أو أطباء آخرين عاشوا وعملوا في مقاطعة افريقيا البروقنصلية ونوميديا، منهم أطباء ملحقين بالجيش ومنهم أطباء خاصين يتعاملون مع الشعب خاصة العائلات الثرية وما يهمنا في هذه الدّراسة تسليط الضوء على وضعية الطب في مدينة هيبوريجيوس خلال القرن الخامس الميلادي،وتقديم وصف من خلال بعض المصادر التي عالجت موضوع الطب في مدينة هيبوريجيوس خلال تلك الفترة.

تتفق جل المصادر أن فترة الربع الأول من القرن الخامس الميلادي عرفت مدينة هيبوريجيوس رجل دين يُدعى" أُوغسطين" ترك العديد من الكتابات، التي بيّن بعضُها مكانة الطب في هذه المدينة، ومن هذا المنطلق يمكن أن نطرح العديد من التساؤلات هي : ما هو واقع الطب في مدينة هيبو ريجيوس خلال فترة أوغسطين؟ من هو أوغسطين ؟، ماهي أهم أعماله؟ ماهي وصاياه الطبية؟ هل ذكر الأمراض وصنفها؟ هل مارس الطبَّ أوغسطين؟ هل ذكر أسماء أطباء خلال فترته الأسقفية؟ هل وُجِد الطب فعلا في مدينة هيبون خلال فترة أوغسطين ؟

ومن أجل معالجة هذه الاشكالية تراءى لنا أن نقسم الموضوع الى ثلاثة محاور أساسية نركز في أولها على علاقة أوغسطين بمدينة هيبو ريجيوس وكيف كان اتصاله واقامته بها، لنرتكز في المحور الثاني على ابراز الأمراض التي تفشت بالمدينة وكيف كانت اسبابها وفيما تمثلت خطورتها ثم تكلممنا عن وصفات العلاج التي كانت تقدم في مدينة هيبو ريجيوس سواء من قبل الأسقف أوغسطين او من قبل الاطباء الآخرين، بينما المحور الثالث من الدراسة جاء بعنوان الأطباء في زمن أوغسطين وما بعده لاننا في مقالنها نعالج الطب في فترة أوغسطين ولهذا تراءى لنا ان نبين أسماء الأطباء الذين عاصروه أو سردهم في مؤلفاته ورسائله ثم بينا إستمرارية الطب بعده .

قليلة هي الدراسات التي اهتمت بالطب القديم في المدن الجزائرية قديما وعلى وجه الخصوص رأينا شح في المواضيع التي تطرقت الى المجال الطبي في مدينة هيبو ريجيوس (عنابة) خاصة باللغة العربية، بينما انكبت بعض الدراسات الأجنبية التي استندت على الأسقف أوغسطين وكانت مراجع أساسية لنا في هذا الموضوع وعلى سبيل المثال لا الحصر نبين بعض تلك الدراسات :

دراسة قدمها قيون جون لويس (Guyon, jean Louis) في سنة 1870 وتناول خلالها أسماء بعض الأطباء في كتابات الأسقف أوغسطين وهي دراسة ثرية ومهمة جداً، كما نجد أيضا دراسة باردي غوستاف (Bardy Gustave) التي نشرت في الدورية اللاهوتية الأغسطينية (année théologique augustiniennei-ii) سنة 1953 وكانت بعنوان أوغسطين والطب عموما، وتعتبر من الدراسات القيمة التي استشهدت بكتابات الأسقف أوغسطين وكل ما تعلق بالطب .

تعد كذلك دراسات نصيرة بن صديق(Benseddik Nacera) حول الطب في أفريقيا الرومانية من بين أهم الدراسات المعتقدة في معرفة تاريخ الطب والأطباء في المقاطعات الافريقية الرومانية والمقال نشر في مجلةأفريقيا الرومانية (Africa Romana) سنة 1986 ةهذا المقال حفزنا للكتابة حول الطب خلال القرن الخامس ميلادي، كذلك هناك دراسة قيمة جداً لعبد العزيز بلفايدة (Belfaïda, Abdelaziz)حيث تمكن من جمع أغلبية النقائش التي ذكرت الأطباء في المقاطعات الرومانية في أفريقيا من القرن الاول الأول إلى غاية القرن الخامس ميلادي والدراسةودراسته منشورة في مجلةأفريقيا الرومانية (Africa Romana) في سنة 2006، أما الدراسات المتعلقة بهيبو ريجيوس مباشرة فحسب اطلاعنا لم نجد عنوان أو جزء يعالج هذا الموضوع بشكل مباشر

1. أوغسطين (مولده واقامته):

نظرا لأهمية كتابات أوغسطين في المجال الديني ومختلف العلوم المعرفية الأخرى يُمكن اعتبارها دليلا واضحا على ممارسته ومعرفته لمهنة الطب، وبفضل أوغسطين تم الكشف عن العديد من الأمراض وبعض العلاجات وأسماء أطباء عاشوا خلال القرن الخامس الميلادي سواء في مدينة

هيبوريجيوس أو غيرها من المدن الأخرى، ومن هذا المنطلق يمكن أن نتساءل: من هو أوغسطين؟ وما علاقته بمدينة هيبو ريجيوس؟

تعتبر مدينة هيبوريجيوس من أهم المدن الرومانية في بلاد المغرب القديم بدأت تأخذ أهمية كبرى خلال القرن الأول الميلادي من خلال ترقيتها إلى مصاف مرتبة " بلدية رومانية" (Gascou.J, 1972:34)ونتيجة لتسارع الحركة الاجتماعية للمدينة تطورت إداريا بشكل سريع مقارنة مع مدن أخرى خاصة خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين .خلال منتصف القرن الرابع وغير بعيد عن مدينة هيبوريجيوس وُلد أوغسطين سنة 354 م بمدينة تاغاست (سوق أعراس الحالية) من أب وثني وأم مسيحية (Monceaux.P, 1913:573)، بعد الذهاب إلى قرطاجة وروما للتعلم عاد أوغسطين إلى مسقط رأسه سنة 388م وبقي فيها(Valentin.P, 1969:01)زارمدينة هيبوريجيوس سنة 391م وخلال زيارته إلتقى مع الأُسقف العام للمدينة الذي يدعى "فاليريوس" وأثناء إقامته في المدينة شارك في بعض الأعياد الدينية والمحاضرات الدينية والمواعظ، وأثناء إلقاء أوغسطين محاضرة أعجب الأُسقف العام " فاليريوس" كثيرا بشخصية" أُوغسطين"خاصة فيما يتعلق حول معارفه اللاهوتية والفلسفية، ومن خلال هذه المهارات العلمية طلب الأسقف " فاليريوس" من أوغطسين البقاء في المدينة، فلبى أُوغسطين ذلك الطلب وأصبح نائبا للأسقف " فاليريوس" من سنة 391م حتى سنة 395م (Salaville.S, 1922:390) وبعدذلك أصبح " أُوغسطين" من أهم الشخصيات الدينية والفكرية التي عاشت في مدينة هيبوريجيوس خلال القرن الخامس ميلادي، ليستقر بها مدة طويلة حتى وفاته.

2.الأمراض ووصفات العلاج

لقد ظهرت الامراض في بلاد المغرب قديما وأثرت كثيرا على الحياة الاجتماعية فكان لابد على السلطات المحلية ان تجد حدا لهذه الأمراض، ولكي نعرف ان هناك طب وممارسات طبية خاصة خلال فترة الأسقف أوغسطين يجب أن نحاول إظهار بعض الأمراض وأسماء الاطباء وبعض العلاجات التي قدمت انذاك.

1.2الأمراض:

عانت المجتمعات القديمة منذ أقدم العصور من الكثير من الأمراض والأوبئة، التي انهكت معظمها، فلقد سجلت العديد من المصادر خلال الفترة الرومانية التي هي مجال دراستنا انتشارا لبعض الأوبئة والأمراض بين أفراد المجتمع، مما جعل السلطات الرومانية تهتم كثيرا بالطب ومجالات التكوين الطبي، خاصة خلال الفترة الممتدة ام بين القرنين الأول والثاني الميلاديين (benseddik.n, 1986:667). ولقد عمل الأطباء على تشخيص العديد من الأمراض خلال تلك الفترة مثل مرض

التهاب اللّوزتين والأمراض الجلدية (Etienne.r, 1973:40)، وبدوره تمكّن" أُوغسطين" في دراساتها وأبحاثه من تحديد سبعة آلاف عبارة لها علاقة بالطب منها مئةٌ وسبعٌ لها علاقة مباشرة بالطب والأمراض(Rassinier.J.P, 2012:65) .

وعلى الرغم من صعوبة التعرف على بعض الأمراض في تلك الفترة نظرا لمحدودية المعارف ونقص الوسائل، استطاع " أُوغسطين" وفق تجارب سابقة مر بها اكتساب مهارات طبية خاصة في تجربة شبابه عندما كان يدرس في روما مع نهاية القرن الرابع (benseddik.n, 1986:670)، حيث استعمل الكثير من المصطلحات الطبية المرضية (مثل مرض الحمى .الالتهاب .الجرح....إلخ) (Reid.Sh.A, 1985:167)، وقام بتقسيم تلك الأمراض إلى مجموعات وفق الضرورة الطبية، فاستنتج منها الأمراض النفسيةٍ والأمراض المعديةٍ(Rassinier.J.P, 2012:68) وتحدث" أُوغسطين" عن الأمراض الجلدية ومن بينها الالتهابات التي تصيب الجلد (Fraisse.A, 2005:63) .

ولولا المعرفة الطبية لأُوغسطين ما كان أن يقوم بهذا التقسيم، بل وكان أكثر دقة في المجال الطبي حيث شخَّص الكثير من الأمراض على غرار مرض السرطان(Reid.Sh.A, 1985:16) ومرض شلل الأطفال والتشوهات الخَلْقية (Rassinier.J.P, 2012:68) ؛ ومن غير المستبعد أن تخصص طب الأطفال اكتسبه من روما، كونها عرفت تطورا في مجال طب الأطفال منذ القرن الأول ميلادي، ومن غير شك أنه اجتهد واطّلع على تلك المصادر والدراسات التي سبقته وكان بعضها متعلقا بطب الأطفال(Etienne.R, 1973:42).

وكما أسلفنا فقد تطرق الأسقف أوغسطين في كتاباته إلى مرض السعال المزمن والحمى والجرب (Fraisse.A, 2005:62)، ويمكن ان نستنتج معرفة أوغسطين لمرض الحمى أن ذلك يرجع إلى فترة إقامته في روما والدليل على ذلك عندما قررت والدته مونيكا العودة إلى مدينة تاغاست، وأثناء مغادرتهما مدينة ميلان وتجهيزهما للعودة، تُوفيت والدته في ميناء أوستيا في خريف 387م، بعد تسعة أيام من المعاناة مع مرض الحمى (Heitz.J.J, 1965:322)، هذه الحادثة تعكس وتؤكد إلى حد ما أن أوغسطين لاحظ معاناة أمه مع مرض الحمى.

كما تطرق أوغسطين أيضا إلى مرض العيون والإسهال والتهاب الجهاز البولي وأمراض الجلدية المختلفة ومرض الجرب والقرحة ومسبباتها (Fraisse.A, 2005:61)، وانتقلت معرفته أيضا الى ممارسة وتشخيص الأمراض النفسية والروحية والأمراض العقلية، حيث وصف أوغسطين هذه الفئة بأصحاب الأمراض الحقيقية(Rassinier.J.P, 2012:68)، كذلك تعرض أوغسطين في جلسات علاجه أو عند استشارته لمواجهة أصحاب الحالات الميؤوس منها (Sarr.p, 2010:27)، ونصح الأطباء دائما بقول الحقيق للمريض، اعتقادا منه أنّ الكذب على المريض من أجل راحته النفسية قد يسبب

للكاذب أو الطبيب عقاباً روحياً. ومن خلال هذه الوصايا والإرشادات وتشخيص الأمراض يبدو لنا جليا أنّ" أُوغسطين" قدّم خدمة كبيرة لمجتمع مدينته هيبوريجيوس إضافة إلى خدماته كرجل دين.

2.2 وصفات العلاج

إن الرصيد المعرفي لـ" أُوغسطين" الثري للغاية، وبدايته الأولى في الكتابة والتأليف وتعامله مع المؤلفات القديمة كان منذ سنة 386م، ومن أهم أعماله كتاب (الاعترافات) به ثلاثة عشر جزءاً أنهاهُ سنة 401م (Joubert.C, 1992:77)، وكتاب (مدينة الله) الذي يحتوي على اثنين وعشرين كتابا بدأ تحريره من سنة 414 م وأنهاهُ سنة 426م (Joubert.C, 1992:112)، كما كتب أكثر من 276 رسالة بالإضافة إلى مئات المواعظ والخُطب، وهناك مطوياتٍ تمثلت في الرد على المخالفين الأكاديميين والفلاسفة والمثقفين (Valentin.P, 1969:02)، فهذا الإرث الكتابي يمكن أن يحمل بين طياته، اشارات لعبارات متعلقة بالوصفات الطبية أو النصائح العلاجية وهي في حد ذاتها إنتاج علمي يُعبّر عن مدى معرفة صاحبها بالمرض وأهم مسبباته، وبالتالي فإن صاحب الوصفة الطبية يملك معرفة كبيرة في مجال الطب، ويجدر بنا التذكير أن أوغسطين تم تعيينه أسقفا عاما لأسقفية هيبوريجيوس من سنة 396م إلى غاية سنة 430م (Taisne.A.M, 1998:27).

اهتم الأطباء القدامى وخاصة في روما بوضع بعض الوصفات الطبية والنصائح، وكل مرض تمّ مَنحُهُ وصفة طبية قد تكون طبيعية أو كيميائية، فمثلا عند أصحاب مرض التهاب اللوزتيين ينصح الأطباء الرومان باستعمال الماء المُلح والعسل وحتى زيت الزيتون(Etienne.R, 1973:40)، فزيت الزيتون استعمله الكثير من أساقفة القرن الخامس في علاجاتهم الجسدية والروحية، حيث كان يُدهَن به الجسد وخاصة الصدر (Mandouze.A, 1982:1225)ويُعتقَد أن هذه المادة متطورة آنذاك عن الوصفات القديمة التي سبقتها .

تُؤكد المراجع أن الطب الطبيعي ازداد تطوراً خلال القرن الثالث الميلادي واهتم الأساقفة بالطب نتيجة تعاملهم مع المصادر اللاتينية والاغريقية التي تُبين في طيَّاتها الطبَّ بشكلٍ واضحٍ وظهرت الوصفات الطبية قبل أوغسطين بزمن طويل نظرا لوجود الطب والعلاج و أسماء لأطباء عاشوا في مدن بلاد المغرب القديم من القرن الأول ميلادي(belfaida.A, 2006:729)، ومن الإشارات الدالة على الاستمرارية الطب وانتقاله إلى الأساقفة أو رجال الدين، حادثة استجواب أساقفة مدينة كالاما (Calama) (قالمة حالياً) لشخصية يدعى "دوناتوس" يقول أنه قدّم كُتباً أو مخطوطات طبية سنة 303م(Mandouze.A, 1982:290)، فهذا المخطوط على الرغم من عدم معرفة محتوياته فهو دليل على الممارسة الطبية قبل فترة" أُوغسطين" بحوالي قرن من الزمن.

وعلى الرغم من ذلك تبقى فترة" أُوغسطين" مهمة في تطور الطب في مدينة هيبوريجيوس لأن أوغسطين بدأت معارفه تتطور بعد مغادرة قرطاجة باتجاه روما سنة 383م، وأثناء الدّراسة هناك التقى بالكثير من الفلاسفة والحكماء ورجال الدين والأطباء، وبقي في روما قرابة ست سنوات برفقة عائلته (Rotelle.J, 2001:15). هذه المدة الزمنية في روما وما نتج عنها من تنقلاته زياراته وإطلاعه على مختلف المؤلفات اليونانية والرومانية، فإنها من دون شك كانت كافية له إلى حد ما في تسهيل اكتساب معرفة طبية إلى جانب المعرفة الدينية، وبعد ما قضى هذه المدة الزمنية في روما وخلال زياراته المتعددة لأماكن العبادة وتواصله المستمر مع رجال الدين اعتنق المسيحية مباشرة في سنة 386م وتمَّ تعميدُه سنة 387م(Mandouze.A, 1982:895)

ويمكن الاستنتاج من فائدة مخالطة رجال الدين،أنها كانت ذات منفعة إضافية لأوغسطين في جانب آخر حيث جعلت منه اضافة الى كونه أسقفا اصبح يتمتع بخبرة الطبيب، لأن أساقفة القرن الرابع والخامس اشتهروا بالطب والعلاجات الطبية النفسية والجسدية، وبالتالي فإن قدوم أوغسطين من روما بدون شك سيكون مُحملاً بمعارف فلسفية دينية وخطابية، وأثناء إقامته في مدينة هيبو ريجيوس قدّم الكثير للمجال الطبي أثناء تواجده بمدينة هيبوريجيوس، وهذا ما عكسته مصادره، حيث أشار في كتاب "الاعترافات" و"مدينة الله" أنَّه تدخَّل في أكثر من مرة في علاج الأفراد وممارسة الطب(Benseddik.N, 1986:670)، كان أولها سنة 388م من خلال معالجة أحد الأساقفة من داء البواسير(Mandouze.A, 1982:602)، كما عالج كذلك أحد الرعايا السوريين المقيمين بهيبوريجيوس سنة 426م يدعى باسوس (Bassus) مع عائلته (Augstine., Liv:XII.VIII)، ومن خلال خبراته قدَّم بعض الوصايا الطبية والوقائية في مجال النظافة الشخصية لمحاربة الأمراض والأوبئة لذلك كان يوصي بالاستحمام الدّوري ونصح بالحرص على النظافة والاستماع إلى وصايا الطبيب (Monceaux.P, 1913:591)ويعتقد أنّ النصيحة حول النظافة استُخدمت قبله عند الأطباء الإغريق واللاتين حيث أوصوا بالحمامات الساخنة ومياة البحر أو ماء البحيرات المالحة (Fraisse.A, 2011:1041)، وهذه العلاجات الطبيعية مفيدة للأمراض الجلدية حتى زمننا هذا .

كما نصح أوغسطين الأشخاص الذين يعانون من مرض الجرب بمحاولة علاجه باستخدام النار،ولتوفير رعاية صحية جيدة بالأطفال الرضع، أوصى الأمهات والمربيات بضرورة الاستمرار في إرضاع أولادهن حتى يبلغوا العام من أعمارهم (Benseddik.N, 2009:106)، وأوصى في شق آخر بأفضلية البداية في معالجة الأعراض والأمراض النفسية قبل الجسدية، وبتجنب القلق والغضب باعتبارهما من المسببات الحقيقية لأمراض الجسم ونصح كبار السن بتفادي التعب والأعمال المرهقة(Rassinier.J.P, 2012:68). أما في مجال طب الأطفال الذي كان معروفا ومنتشرا بكثرة في

الفترة الرومانية منذ القرن الأول الميلادي، إذ برز العديد من الأطباء في هذا التخصص ومنه علاج للأطفال وكيفية اتباع نظام غذائي صحي لهم والوقاية من الأمراض(Etienne.R, 1973:40) ، فقد قدم أوغسطين بعض النصائح في هذا المجال من بينها معلومات حول فوائد حليب الأم (Benseddik.N, 2009:106).

يُعتقد أنه من أجل المنفعة الاجتماعية أوصى وساهم أوغسطين ببناء مجموعة من الأديرة للممارسة الدينية والخدماتية وكان منها دير مخصص لعلاج الأمراض النفسية والجسدية (Rassinier.J.P, 2012:79)، لذا يعتبره المختصون من أبرز الأساقفة المتخصصين في مجال الطب النفسي والروحي؛ حيث سهر على تدعيم الدير بمساعِدات وممرِضات تقمن بتقديم الطعام والدواء اللاَّزم للمرضى(Monceaux.P, 1913:582) . كذلك قدم نصائح حتى للأطباء المعالجين وكيفية تعامل الطبيب مع المريض؛ ومثلما أسلفنا فقد أوصى الطبيب بقول الحقيقة للمريض لأن قول الحقيقة للمريض أحسن من الكذب عليه وبرر ذلك بأن الإنسان المخلص لا يكذب (Sarr.P, 2010:27). وهي وصية على الرغم من أنها طبية يمكن ان ندرجها في الجانب الديني أيضا، لأنه كان يدرك عاقبة الكذب التي تتناقض مع الدين .

وبالتالي نستنتج أنّ هذا الديركان على شكل مشفى أو عيادة طبية، كذلك اعتنى بالمعوزين وأنشئ ديراً مخصصاً لذلك، وكان يُقدّم فيها الطعام اللازم لاحتضان المعوزِين والمسنّين، وكانت الأديرة على دراية بالطب والمأكولات الصحية المُقدّمة، حيث أشارت المصادر أنّ من أهم علاجات السعال هي التفاح واللوز المحمص والعسل(Etienne.R, 1973:40)، وهي وصفة العلاج التي أوصى بها" أُوغسطين" ووصيته هذه تدخل في مجال الوقاية .

بما أن الطب المتطور يتبع التعليم أنشأ "أُوغسطين"مكتبة دينية لرفع المستوى التعليمي في مدينة هيبوريجيوس (Tlili.N, 2006:163)، ويُعتقد أنّ المكتبات الدينية كانت تتوفر على حد ما من المعارف الطبية قديماً، وهو ما جعله يدعم الكنائس بمكتبات صغيرة وضاعف في بناء الأديرة في القرن الخامس الميلادي (Perler.O, 1955:379) ، ولم تتوقف نصائحه الطبية بل قدمها وهو في أواخر أيامه سنة (429م)، ويعتقد أنه كان يقدم النصائح الطبية والعلاجات على الرغم من تقدمه في السن واشتغاله في الخمس عشرة سنة الأخيرة من حياته بالرد على خصومه من خلال مئات الرسائل الدينية والسياسية .

3.الأطباء:

تميزت الفترة الممتدة من القرن الاول إلى غاية منتصف القرن الرابع ميلادي بوجود العديد من الاطباء كشفتهم المصادر المتمثلة في النقائش الحجرية، ثم تلتها مرحلة الأسقف أوغسطين الذي

يعتبر مصدرا مهما لذكر أسماء الاطباء الذين عاصروه كما نجد الفترة التي بعده سجلت هي الاخرى خاصة الفترة الوندالية العديد من أسماء الأطباء، وبالتالي لإأن فترة الأسقف أوغسطين تعبر مرحلة مهمة ومكملة لتواجد الطب في الجزائر قديما

1.3 . الأطباء قبل أوغسطين.

بينت مختلف النقائش اللاتينية أنّ الطب كان موجودا في كبرى المدن الرومانية في المقاطعات مع القرن الأول الميلادي من خلال وجود نقائش لاتينية خلدت أسماء أطباء في بلاد المغرب القديم (Belfaida.A, 2006:729)، إذ وُجدت نقائش في مدينة قرطاجة خلال القرن الأول تبين وجود أطباء مثل الطبيب ماركوس تروفيموس والطبيبة أسيليا بوليا (Asyllia Polia) (Benseddik.N, 2009:109)،كذلك نعتقد أن الطب وجد في مدينة هيبوريجيوس منذ القرن الأول الميلادي،أولا باعتبارمدينة هيبوريجيوس لا تختلف كثيرا في وجود معظم المهن والوظائف التي أُكتشفت في قرطاجة، بالإضافة إلى وجود معبودات بحمامات المدينة لها علاقة بالطب مثل إسكولاب (Marec.E, 1965:292)، وبالتالي فإن مدينة هيبوريجيوس عرفت الطب في وقت مبكر قبل وجود أوغسطين، وهناك نقائش لاتينية بينت أن الطب له إشارات في جوار مدينة هيبون كمدينة(Thubursicum Numidarum)ومدينة (Thagaste) (belfaida.A, 2006:729)

لم تهتم السلطات الرومانية بتوفير الصحة في المدن الرومانية فقط بل تعدّت ذلك وأصبحت المعسكرات تعُجّ بالأطباء والممرضين، حيث كُشِفَت نقائش لاتينية وُجدت في مدينة تيمقاد (نواحي باتنة) تُخلد خمسة عسكريين امتهنوا الطب من سنة 199م إلى غاية 235م بالفيلق الأغسطي الثالث (Lebohec.Y, 1989:263)، كذلك في نفس الفترة كُشفت نقيشة لاتينية لطبيب يدعى كوينتوس قارجيليوس مارتياليس (Quintus Gargilius Martialis) (260. م. 220م)من مدينة (Auzia) (سور الغزلان الحالية)، كان من النخب المحلية والعسكرية في مدينته اختص في الطب الطبيعي (Prioreschi.P, 1999:510)، ومع مطلع القرن الرابع الميلادي ازداد عدد الأطباء وذلك استنادا إلى كتابات الأساقفة التي ذكرت وجود الأطباء والعلاجات الطبية في المقاطعات الإفريقية الرومانية (Monceaux.P, 1920:78)

إن الوجود المكثف لأسماء الأطباء في النقائش والنصوص الأدبية يبيّن حاجة المجتمع للطب، ويُعتقد أنّ الأمراض كانت منتشرة في المجتمعات قبل أوغسطين، ونظرا لتفشي الأمراض في هذه المجتمعات اعتبر" أُوغسطين" أنَّ الولوج إلى عالم الطب أكثر من ضرورة، حيث اهتم بالطب كثيرا (Bardy.G, 1953:346)، وقد أكسبه احتكاكه في روما ببعض الأطباء نوعا من الخبرة والمعارف الطبية من خلال الطب الإغريقي والروماني(Benseddik.N, 1986:667)، وقراءة النصوص الطبية

حيث ذكر في مواعظه ورسائله مفردات طبية كثيرة(Reid.Sh.A, 1985:118). إن المهارة المعرفية التي اكتسبها أوغسطين في روما جعلت منه أحد أكبر الأطباء خلال القرن الخامس الميلادي، (Monceaux.P, 1920:78)إذ ثمّن دور الأطباء ووصفه بأنه مسؤولية كبيرة تقع على عاتق الطبيب (Dupont.A, 2014:52)، ونظرا للتعامل مع الكتابات اللاتينية والدينية اهتم بعض الأساقفة ورجال الدين بالطب حيث أصبح يشار للطبيب في الفترة المسيحية بـ(Christus Medicus) (Monceaux.P, 1920:78).

على ضوء الكتابات الأدبية المعاصرة لفترة أوغسطين، نعتقد بأن الطاقم البشري من أساقفة وقساوسة وقراء كان مرتفعا جدا في مدينة هيبوريجيوس في عهد" أُوغسطين" نظرا للهيكلة الإدارية في المدينة، ذلك لأن المدينة تمت ترقيتها مع القرن الثاني الميلادي إلى كنفدرالية أو شبة مقاطعة (Christol.M, 2006:1865). وبالتالي فإنها احتوت على الكثير من الأساقفة الذين اشتغل بعضهم في المجال الطبي من أجل التوازن في المصالح الدينية في المدينة، وهذا النظام الإداري الكنفدرالي سمح لمدينة هيبوريجيوس أن تُصبح مقاطعة كنسية.

يعتبر الأساقفة من الطبقة المتعلمة والمثقفة نظرا للمراحل التعليمية التي يمرون بها فمن الطبيعي أن يكون منهم القضاة والمحامون والمحاسبون والأطباء (Monceaux.P, 2016:73)، دون إهمال الجانب الديني طبعا، إذ كان هؤلاء الأساقفة وخاصة في الفترة المتأخرة (القرن الخامس الميلادي) يستعملون مفردات طبية قد تكون أحيانا مجازيةً (Lançon.B, 2015:303)، وعلى الرغم من اهتمام الأساقفة بالطب وبعض جوانبه إلا أن المحاضر الدينية في اجتماعاتهم سجلت أمرا يدعو إلى استنتاج مفاده أنّ أغلبهم يعانون من أمراض، وهذا ما أشار إليه مجمع قرطاج سنة 411 م بوجود أكثر من مئة وعشرين أسقفا غائبا كاثوليكياً ودوناتياً (Monceaux.P, 1910:60) وقد فسر بعضهم هذا الغياب بالمرض أو التأخير، لكن يبقى احتمالا ضعيفا ومجرد تخمين لا نملك عليه دليلا، لأن أساقفة من نفس المدينة أحدهم شارك والآخر تغيب وبالتالي من غير المعقول أن يكون متأخرا نظرا للإعلان المبكر عن المؤتمر ومن خلال النظر للمنشآت التي أنجزها " أُوغسطين" نجد أن المجال الطبي كان مكتمل الأركان من تشخيص الأمراض إلى الاهتمام بالمريض وإعطائه الأدوية اللازمة وهي طريقة مُثلى لشفاء المرضى .

2.3 الأطباء فترة أوغسطين :

أولا قبل الحديث عن الأطباء الذين عرفهم أوغسطين في حياته الأسقفية، تعود بنا الذاكرة إلى أيام دراسته في قرطاجة التي انتقل إليها سنة 370 م لدراسة الأدب اللاتيني والفلسفة، وبقي خمس سنوات هناك ليعود إلى مدينة تاغاست التي اشتغل فيها معلماً للبلاغة والنحو، ولم تشجعه الظروف

الاجتماعية على البقاء في مدينته وقرَّر العودة مجدّدا إلى قرطاجة من أجل التدريس والتحصيل العلمي (Taisne.A.M, 1998:30)، هذه المدينة احتضنت أكبر تجمع للأطباء من القرن الأول إلى غاية القرن الرابع الميلادي، وشكل الأطباء ما نسبته عشرون بالمئة من مجموع الأطباء الذين ذكروا في النقائش اللاتينية فقط، وهذا ما قد يشير إلى أن أوغسطين قد سمع بأعمال هؤلاء الأطباء، يضاف إلى ذلك أنه خصص جزءا من كتاباته لأسماء أطباء عاشوا معه ويعتبر في حد ذاته مصدرا مهما لمعرفتهم، خاصة إذا قورن أوغسطين بمصادر أخرى مثل النقائش المسيحية التي ذكرت خمسة أطباء مسيحيين فقط (belfaida.A, 2006:729)

من بين الأطباء الذين التقى بهم" أُوغسطين"وحاورهم في المجال أو عاشوا تقريبا في نفس فترته الزمنية نجد كلا من الجراح (Chirurgicus) ألكسندرينوس (Alexandrinus)، الذي يعتبر من أشهر الجراحين خلال القرن الخامس الميلادي، فقد أجرى العديد من العمليات الجراحية كما شخّص بعض الحالات الميؤوس منها في كثير من تدخلاته الجراحية (Mandouze.A, 1982:52)، ومن أشهر تدخلاته أنه أجرى عملية جراحية لمعالجة ونزع البواسير لأحد المحامين يدعى أنوسنت (Innocent) سنة 388م، وقد شهد هذه العملية وظروف العلاج" أُوغسطين" ومجموعة من الأطباء الذين ساهموا بالتشاور في إنهاء معاناة المريض(Guyon.j.l, 1870:06). كذلك كشفت كتابات" أُوغسطين" وخاصة كتابه "مدينة الله" عن وجود طبيب آخر يدعى أمونيوس (Ammonivs) (388م-427م) نال شهرة بين زملائه الأطباء، وذكر أوغسطين أنه كان يتابع كثيرا العمليات الجراحية وحركة شفاء المرضى(Mandouze.A, 1982:66) . كمانجد أيضاً الطبيب ديوسكوروس(Dioscorvs) (388م-430م) الذي ورد في إحدى الرسائل المتبادلة بين"أُوغسطين"وأسقف مدينة تاغاست أليبيوس(Mandouze.A, 1982:279)، كما عاش في مدينة هيبوريجيوس طبيب آخر مشهور يدعى هيلاريانوس (Hilarinus)، أشار إليه" أُوغسطين" بأنه متفوق في المجال الطبي :Guyon.j.l,1870) (08،كذلك من الأطباء الذين كان لهم دور خلال القرن الخامس نجد فانديكيانوس ,Mandouze.A) (Vindicianus) (1982:279،الذي كان يتحدث كثيرا لـ" أُوغسطين"عن الطبيب أبقراط ,Reid.Sh.A) (1985:123.كذلك عاش طبيب غير بعيد عن " أُوغسطين"يدعى كاليوس أوريليانوس (Caelius) Aurelianus في مدينة (Sicca Veneria)،تحدث في مؤلفاته عن أمراض الصرع والأمراض المزمنة إضافة إلى الالتهابات ويعتقد أنه ترجم أعماله سنة 421م (Gaide.F, 1991:40). لم تنقطع مهنة الطب أو الجراحة في فترة" أُوغسطين" بل ساهم إلى حد ما في تماسك الحلقة وتواصل الطب بين القرن الرابع والخامس وترك بمؤلفاته أسماء أطباء مشهورين عاشوا خلال فترته الأسقفية

3. 3. أطباء بعد فترة أوغسطين :

بعد إقامة في مدينة هيبوريجيوس لأكثر من أربعين سنة تُوفي" أُوغسطين" في 28أوت 430 م، وبعد سنة سيطرة الوندال على المدينة وبدأو في تخريبها، ونتج من هذا العمل هجرة الأساقفة الذين كانوا القاعدة الأساسية في الطب والخزان البشري للأطباء، ومنها بدأت معاناة الأطباء خاصة الكاثوليك

على الرغم من فقدان مصدر مهم يبين الطب والأطباء إلا أن هناك مصادر بينت استمرارية الطب من خلال أسماء الأطباء، فقد استمر الطب بعد وفاة" أُوغسطين"، على الرغم من عمليات التهجير والقتل في حق السكان التي ازدادت حدتها في فترة الملك هنريك(Huniric) الذي أصدر مرسوما في 25 فيفري سنة 484م وكان قاسيا على الأساقفة الكاثوليك، ومن بين الضحايا من الناس تمّ تسجيل بعض الأطباء مثل الطبيب أميليوس (Emilius) الذي عانت عائلته من الترهيب والتهجير والقتل(Mandouze.A, 1982:267) ، والطبيب ليبارتوس (Liberatus) الذي هُجر هو الآخر.(Lancel.S, 2000:1212) لكن رغم كل هذه المحن إلا أن المصادر أثبتت وجود أطباء مع أواخر القرن الخامس الميلادي مثل الطبيب كاسيوس فيلكس (Cassius Felix) الذي عاش في مدينة سيرتا (Cirta) (قسنطينة حاليا)، وقام بترجمة الكتاب الإغريقي الطبي (De Medicina) والتعليق عليه في منتصف القرن الخامس الميلادي (Vázquez.Bújan.M, 200831). وبفضل سعة علمه ومهارته تمكن هذا الطبيب من وصف العديد من الأمراض كالجذام وتقديم بعض التوصيات الطبية للأمراض الجلدية (Fraisse.A, 2011:1035)، فهذا العمل يدل إلى حد ما على المعرفة الطبية له ومدى تعامله مع الأمراض

خاتمة:

من النتائج المحصل عليها من خلال هذه الدراسة تبين أن الطب كان موجودا في بلاد المغرب القديم منذ أقدم العصور، ازداد انتشارا في مدن بلاد المغرب القديم خلال القرن الأول ميلادي، و مدينة هيبو ريجيوس لم تكن إستثناء وتواجد ت بها مؤشرات لوجود ممارسات مهنة الطب خلال القرن الاول ميلادي،

مع ظهور المسيحية وازدياد أعداد رجال الدين بمختلف رتبهم أصبح الطب متطور أكثر لأنه أصبح له الطابع الروحي والجسدي، ومع فترة الأسقف أوغسطين أصبح الطب في مدينة هيبوريجيوس جزء من حياة الأفراد ومما أكد ذلك هو ازدياد عدد النخبة الدينية حيث أصبح الطب أكثر انتشاراً من خلال ما سجلته المصادر حول التدخلات الطبية لرجال الدين في منشآتهم (الكنائس.الأديرة)

كذلك ساهم الأسقف أوغسطين بالتأريخ للطب والعلاجات الطبية وأسماء الأطباء، كذلك استمر الطب والأعمال الطبية حتى بعد وفاته، لكن على الرغم من وجود الطب في مدينة هيبو ريجيوس قبل الأسقف اوغسطين وبعده إلا ان فترته الأسقفية كشفت مكانة الطب والوضه الصحي العام في مدينة هيبو ريجيوس،

كذلك تبين أن سكان مدينة هيبوريجيوس قد تلقوا مساعدات طبية مادية ومعنوية من طرف القساوسة والأساقفة من أجل الحد من الأمراض والعلل التي عانوا منها طويلا، والفضل كله للمجهودات التي بذلها" أُوغسطين"في هذا الشأن. بقيت مؤلفات أوغسطين على الرغم من أنها لاهوتية في أغلبها- مراجع مهمة تحمل في طياتها تاريخا حافلا للطب والأطباء خلال تلك الفترة، حيث ذكرنا حوالي ستة أطباء على الأقل تعامل معهم في حين يبقى العدد الإجمالي للأطباء الذين تعرف عليهم أوغسطين وتعامل معهم سواء في روما أو في بلاد المغرب القديم ربما أكثر بكثير. واتضح أن" أُوغسطين" كان تقريبا حلقة وصل بين الطب القديم والطب المسيحي، كذلك بينت المصادرأن الطب والأطباء تواصل وجدوهم بعدفترة الأسقف أوغسطين لكن بشكل أقل .

قائمة المصادروالمراجع

Anthony Dupont(2014), " la doctrine de la grace de saint augustin. *Aspects pastoraux et speculatifs*" revue de l'histoire des religions,1 , pp. 47 70.

Augustin, " Cite de DIEU ".LIV.XXII.ch.VIII. tra. pierre lombert .paris.DCCXXXVI.

Bardy Gustave,(1953)," saint augustin et les médecins", *l'année théologique augustiniennei-ii* , 1953, pp. 327-346.

Belfaïda, Abdelaziz, (2006), Emigration du savoir: médecins en Afrique Romaine (apport de l'épigraphie), *L'Africa romana XVI*, pp. 729-740.

Benseddik Nacera (2009), "manus lanis occupate femmes et metiers en afrique", *antiquites africaines*, 45,2009. pp.103-118

Benseddik Nacera ,(1986)," la pratique medicale en afrique au temps d'augustin," *africa romana*, vi, p. 663-682.

BertrandLançon,(2014)" libanios et augustin malades. les confidences nosologiques révélatrices de deux autobiographes du dernier tiers du ive siècle,*revue des études tardo antiques*, iv, 2015, pp287-304.

Etienne, Robert (1973), "la conscience médicale antique et la vie des enfants "*annales de démographie historique* , 1973 ,pp. 15-61

Fraisse Anne ,(2005) " scabies dans les textes latins : problèmes d'identification etde traduction", *revue de philologie, de littérature et d'histoire anciennes*« tome lxxix , 591/2005

Fraisse, Anne,(2011), " la lèpre dans les textes médicaux latins "*la tomus*,t. 70, pp. 1028-1046.

Françoise Gaide, (1991)," le niveau de la science médicale apuléienne dans l'apologie" *vita latina* , 123 ,pp. 39-42

Guyon, Jean-Louis (1870), "de quelques medecins mentionnes dans les ecrits de saint augustin, eveque d'hippone",

Joubert Catherinele (1992)," livre xiii et la structure des confessions de saint augustin", *revue des sciences religieuses* ,66-1-2 pp. 77-117

Lancel, Serge, (2000)," victor de vita, témoin et chroniqueur des années noires de l'afrique romaine au ve siècle *"comptes rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles-lettres*, 144-4 pp. 1199-1219 .

Le Bohec Yann, (1989)," la troisième légion auguste", éditions du centre national de la recherche scientifique, paris .

Mandouze Andre (1982,)," prosopographie chretienne du bas-empire de l'afrique chretienne (303-533)" ,ed. cnrs, paris

Monceaux Paul,(1910)," l'église donatiste au temps de saint augustin", *revue de l'histoire des religions*,vol. 61 , pp. 20-77.

Monceaux, Paul, (1920)," une invocation au "christus medicus" sur une pierre de timgad *comptes rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles-lettres* ,1920 , pp. 75-83.

Monceaux, Paul, (2016)," les africains, les intellecturels carthaginois" , tunise,

Perler Othmer, (1955), "l'eglise principale et les autres sanctuaires chrétiens d'hippone-la-royale d'après les textes de saint augustine" *revue des etudes augustiniennes* ,vol. i, 4, pp.300.341.

Prioreschi Plinio(1999)," a history of medicine: roman medicine",vol.iii ,horatius press,omaha,

Rassinier *Jean-Paul*, (2012), " l'heresie comme maladie dans l'œuvre de saint augustin mots ", *les langages du politique*,26, pp. 65-83.

Reid,Shelleyannette,(1985)," The first dispensation of christis medicina augustin eandromanmedicalculture", th e university of victoria.

Rotelle Jean, (2001), " the works of sain agustine a translation for the 21st century letters 1 – 99",new york, augustinian heritage institute.

Salaville Severien, (1922)," la connaissance du grec chez saint augustin" *revue des etudes byzantines* ,127-128,pp. 387-393.

Taisne Anne-Marie(1998) " l'évolution de saint augustin dans les quatre premiers livres des *confessions* "*vita latina* ,151, pp. 27-34,

Tlili Noureddine(2000) " les bibliothèques en afrique romaine" *dialogues d'histoire ancienne* , 26-1 pp. 151-174 .

Valentin, Pierre(1969)." un « protreptique » conservé de l'antiquité : le « *contra academicos* » de saint augustin" ,*revue des sciences religieuses*, 43-1, pp. 1-26

Vázquez-Buján Manuel (2008)." quelques remarques quelques remarques sur le vocabulaire médical de l'antiquité tardive", encore sur la dénomination de la maladie ,*alma*.66,pp.29.45